«حدود خضراء» عن الهجرة والقمع والخراب

أنجيشكا هولاند تندِّد بواقع مرفوضة رؤيته

منذ العرض الأول لـ«حدود خضراء» في «مهرجان فينيسيا 2023»، تواجه البولندية أنجيشكا هولاند حملة كراهية في بلدها لأنّها تمسّ ممنوعاً

نديم جرجوره

«هذه صدمة. الصُّور مذهلة (بالمعنى السلبيّ)، تُثير غضباً وانفعالات». بهذه الجملة، تبدأ غايل موري مقالتها عن فيلم بولندي جديد، يتناول مسألة الهجرة، المنشورة في «لو سوار»، في 7 فبراير/شباط 2024. تذكر الصحافية السينمائية فيلماً سابقاً للمخرجة نفسها، كتذكير بالتزام أخلاقي وثقافي وإنساني إزاء قضايا تمسّ أناساً يعانون أهوال حروب وتشريدٍ وتعذيب. تقول إنّ البولندية أنجيشكا هولاند (وارسو، 28 نوفمبر/تشرين الثاني 1948) تُحقِّق «حدود خضراء» (2023)، بعد 33 عاماً على إنجازها «أوروبا أوروبا» (1990)، المُرشَّح رسمياً لـ«أوسكار» أفضل سيناريو مقتبس، في النسخة الـ64 (30 مارس/آذار 1992)، الذي يروي القصة الحقيقية لشاب يهودي يُدعى سالومون بيرل (1925 . 2023)، ينضمّ إلى «فرماخْت» (الاسم الممنوح لجيش الرايخ الثالث، بين 21 مايو/أيار 1935 و20 أغسطس/آب 1946، تاريخ صدور قانون من الحلفاء المنتصرين على النازية، يُجيز حلّه)، لينجو بحياته من المحرقة.

أمّا «حدود خضراء»، الفائز بجائزة لجنة التحكيم الخاصة بالمسابقة الرسمية للدورة الـ80 (30 أغسطس/آب . 9 سبتمبر/أيلول 2023) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي . موسترا» («العربي الجديد»، 18 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، فيتابع مسارات مهاجرين عالقين في الحدود بين بيلاروسيا وبولندا، ومعاناتهم القاسية، المُصوّرة فوتوغرافياً، وفي أشرطةٍ متنوّعة، كما تذكر هولاند نفسها في أكثر من حوار صحافي: «بعد فرارها من الحرب، تقوم عائلة سورية برحلة شاقة، بهدف بلوغ السويد»، بحسب تعريف بالفيلم، الذي يُعرض في بولندا بدءاً من 22 سبتمبر/أيلول 2023. على الحدود بين بيلاروسيا وبولندا، أي في المنطقة التي تُعتبر مدخلاً إلى أوروبا، يعلق أفراد العائلة مع أفراد عشرات العائلات الأخرى، في حيّز جغرافي مليء بالمستنقعات، تحت رحمة جنودٍ يتعاملون معهم/معهنّ بأساليب عنيفة: «إنّهم يدركون تدريجياً أنّهم رهائن غير راغبين في وضع يتجاوزهم»، لأنّ الجميع، أي حرس الحُدود والناشطين في المجال الإنساني، والسكان المحليين، يؤدّون أدواراً، لن تكون كلّها في مصلحة هؤلاء المهاجرين.

«فيلمٌ قاتم وضروري، مُشبع بالرؤية الملتزمة لأنجيشكا هولاند، التي تُندِّد بواقع لا نزال نرفض رؤيته أحياناً كثيرة»، تُضيف موري. زميلتها الفرنسية إيلين بيافْنو تكتب، في «لو موند» (14 سبتمبر/أيلول 2023)، أنّ «الفيلم الروائي هذا، المستوحى من وقائع حقيقية، يروي حيوات مضطربة في «بودْلاتشي»، منطقة ريفية بولندية متاخمة للحدود مع بيلاروسيا، في عمق أزمة هجرة تحدث منذ عامين»، أي في شتاء 2021، مع سلوك عشرات آلاف الرجال والنساء والأطفال، القادمين جميعهم من الشرق الأوسط وأفريقيا، هذه الطريق الجديدة للهجرة، التي يستغلّها ألكسندر لوكاتشينكو، الزعيم البيلاروسيّ، «بتلويحه بهذه الورقة» للانتساب إلى الاتحاد الأوروبي: «بعد تصدّي السلطتين البيلاروسية والبولندية لهؤلاء، عبر ممارسة أجهزة مختلفة تابعة لهما أشكالاً عدّة من القمع والتنكيل والقهر، وأحد تلك الأشكال متمثّل بتشييد جدار فولاذي على الحدود، في يوليو/تموز 2022، (بعد هذا كلّه) يُقتل نحو 50 شخصاً منهم/منهنّ».

> فيلم قاتم وضروري يروي حيوات مضطربة لمهاجرين مضطهدين

«عام 2014، يشهد فوز الحكومة السابقة الانتخابات في بولندا، بلعبها ورقة المهاجرين، بينما لم يكن يوجد مهاجر واحد في البلد»، تقول هولاند في حوار سابق مع «لو سوار»، يُعاد نشر مقتطفات منه في مقالة غايل موري: «اليوم، في بولندا، هناك 70 بالمائة من الناس موافقون على الحالة. هؤلاء غير متخيّلين كيف يبدو الأمر. إنّهم يُغمضون عيونهم»، تقول المخرجة، مُضيفة أنّ هذا الوضع أحد الأسباب الدافعة إلى إنجاز «حدود خضراء»، المُصوّر بشكل شبه سرّي، تحديداً في غابة خاصة، وغير الحاصل على أي دعم من الدولة البولندية، المحكومة من PiS (حزب محافظ جداً وقومي للغاية) إلى وقتٍ قليل سابق (انتخابات 15 أكتوبر/تشرين الأول 2023 تُطيحه، مُعيدةً المعارضة إلى الحكم). في مناخ سياسي كهذا، يتعرّض الفيلم، بعد عرضه الدولي الأول في المسابقة الرسمية لـ«موسترا» (2023)، لحملة كراهية: «إنّه بروباغاندا نازية»، «قمامة مُعادية لبولندا»، «(المخرجة) متعاونة (مع أعداء البلد)»، «يهودية ذات أصول بولشيفية»، وغيرها.

بهذا كلّه، تُصبح هولاند «عدو الشعب رقم 1». لكنّ فوز المعارضة في الانتخابات الأخيرة تلك يمنحها شعوراً براحة وفرح. تقول إنّ الفوز الجديد لـ«حزب القانون والعدالة (PiS)»، إنْ تحقّق في ذاك التاريخ، يعني أنّها غير متمكّنة من الذهاب إلى بولندا، أو نادراً جداً (يُمكنها ذلك). تُضيف: «إنّ الشباب هم الفائزون بالانتخابات. إنّهم غير مُصوّتين، عادة، لكنّهم هنا الآن يخرجون بكثافة». ربما لهذا، سيُشاهد نحو 800 ألف بولندي «حدود خضراء»، وهذا «غير متوقّع»، بالنسبة إلى هولاند: «غير محظّيةٍ بردود فعل إزاء أفلامي السابقة، كتلك الحاصلة الآن، مع فيلمي هذا. إنّها (ردود فعل) صادقة وعاطفية. هناك نقاشات لاحقة على أكثر من عرض. الناس يرغبون في التحدّث (عن الفيلم وموضوعه والمسألة برمّتها). الأمر رائعٌ للغاية».

«حدود خضراء»: مسّه بمحرّم بولندي جعل مخرجته هولاند «عدوّة الشعب» (الملف الصحافي)

«العالقون» للأميركي ألكسندر باين

توقّعات لا تمنع استمتاعاً مؤكّداً

ندى الأزهري

لم يكن المشاهد لينجو من توقّع أحداث هذه القصة، التي تنبئ بدايتها بنهايتها، وتدعو إلى تخيّل معظم مجرياتها. لكن هذا لن يمنع استمتاعاً مؤكّداً، فألكسندر باين، مخرج «العالقون»، أو «المُنْزَربون» (2023، بحسب العنوان الإنكليزي، و«عطلة الشتاء» بحسب العنوان الفرنسي)، المُرشَّح لجائزتي «بافتا» البريطانية (18 فبراير/شباط 2024) و«أوسكار» الهوليوودية (10 مارس/آذار 2024) أفضل فيلم، عرف كيف يقود، في حكاية نمطية، شخصياته غير التقليدية، ليجعل من نمطيّتها عنصراً مُحفّزاً لمتابعتها.

العالقون هم طلّاب مدرسة داخلية مرموقة، في سبعينيات القرن الـ20، في نيو إنغلند، في الولايات المتحدة الأميركية. بول هَنام (بول جياماتي، المرشّح لجائزتي «بافتا» و«أوسكار» أفضل ممثل، عن دوره هذا) أستاذ التاريخ القديم في هذه الثانوية الخاصة، المتمسّكة بالتقاليد. متحذلق وفظّ، لا يحظى بودّ طلّابه وزملائه، وتقديرهم. وبما أنه ليست لديه عائلة، ولا مكان يذهب إليه لتمضية عطلة عيد الميلاد، سيكون، مع اقتراب المناسبة، المرشّح الوحيد للمكوث في المدرسة لرعاية، أو بالأحرى لمراقبة قلّة من الطلّاب، المجبرين على البقاء. ليس بمقدور هؤلاء العودة إلى منازلهم، إما لرغبة الأهل في التخلّص من عبئهم في العطلة، أو لصعوبات عمليّة مفروضة عليهم.

مع تقدّم السرد، لا يبقى مع الأستاذ سوى شخص واحد: أنغس تالي (دومينيك سيسا، المُرشّح لجائزة «بافتا» أفضل ممثل في دور ثان)، الطالب في الصف الأول ثانوي. إنّه ذكي بقدر ما هو متمرّد. هناك أيضاً ماري لامب (دفاين جوي راندولف، المرشّحة لجائزتي «بافتا» و«أوسكار» أفضل ممثلة في دور ثان)، طاهية المؤسّسة ذات الأصول الأفريقية، التي فقدت ابنها في فيتنام قبل وقت.

الأحداث متوقّعةٌ، ومنذ البداية. نفورٌ مزمن بين الأستاذ والطلّاب، ترافقه مصاعب تأقلم مع الوضع الجديد لكلّ الأطراف، يحلّ بعده تقارب تفرضه المعاشرة، يكون له أثر إيجابي في تقبّل كلّ منهم عيوب الآخر، على نحو ما، وبذور ودّ تنمو بعد أنْ يتيح الظرف اكتشاف ما لا يظهر، عادة، للعيان، من مزايا إنسانية ومشاعر مكنونة في كلّ شخصية. فكرةٌ لطالما تحوّلت إلى أفلام سينمائية معروفة، منذ «ميرلوس» (1935) للفرنسي مارسيل بانيول، وفيه تلاميذ تعساء في مدرسة داخلية، لا أحد من أهاليهم يحتفل بعيد الميلاد. فيلمُ أوحى للأميركي ألكسندر باين (المُرشّح لجائزة «بافتا» أفضل إخراج عن جديده هذا) القصّة، بحكاية من تلك الحكايات التي تُكتب لأعياد الميلاد. لكنّ باين، الذي يكتب أفلامه عادة، اعتمد هذه المرة نصاً كتبه ديفيد هامنغسُن (المرشّح لجائزتي «بافتا» و«أوسكار» أفضل سيناريو أصلي)، مستوحى من ذكريات شخصية للكاتب، أحيا فيه أجواء الثمانينيات الماضية (جعلها السبعينيات في الفيلم)، والتقط شذرات من شخصيات عرفها، كالأستاذ وبعض التلاميذ، في مدرسة تشبه تلك التي ظهرت في «العالقون».

من خلال ميلودراما اجتماعية عاطفية، لا تخلو من روح دعابة، وحافلة بكليشيه مع ذلك، يُقدّم الفيلم سفراً عبر الزمن، عن تصارع متوقّع بين الأضداد. أستاذ مادة التاريخ، المتجهّم ذو العين الزجاجية، الذي لا يهتم بالموضة، ويرتدي ملابس لا شكل لها ولا هيئة، والمكروه بسبب ما عُرف عن معاملته القاسية وردوده المشوبة دائماً بعدوانية طاغية، لكن المثقّف والمتحدّث القدير، الذي يعرف أصول المهنة.

> جعل باين من نمطيّة شخصياته عنصراً مُحفّزاً لمتابعتها

بول جياماتي ودومينيك سيسا في «العالقون»: خبرة عميقة وأداء لافت (الملف الصحافي)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ The Color Purple لبليتز بازاويل، تمثيل تاراجي بي هانسن (FilmMagic) وفانتاسيا بارَينو: تعيش سيلي، المنفصلة عن شقيقتها نيتي وأطفالها، حياة صعبة، إذْ تعاني ضربات زوج عنيف، يُشار إليه، ببساطة، باسم «سيدي». بفضل دعم المغنية شوغ أفيري، وإحساسها الغامر، وزوجة ابنها صوفيا، وإرادتها التي لا تتزعزع، تستمد سيلي قوة غير عادية. التضامن الأنثوي الاستثنائي الذي أقامته مع «أخواتها» أصبح الآن غير قابل للتدمير.

■ Hellraiser لديفيد بروكْنر، تمثيل أوديسا أزيون وجايمي كلايتون وهيام عباس (Getty): تقوم رايلي الصغيرة بتنشيط مكعّب ألغاز غريب ومسروق، بمساعدة صديقها. هذا المكعّب نفسه يبدو أنّه سبب اختفاء شقيقها قبل فترة طويلة، وهذا كافٍ لها لبدء رحلة محفوفة بالمخاطر والمغامرات، بهدف العثور عليه، علماً أنّها تجهد في الوقت نفسه في الهروب من قوى ظلامٍ وشياطين.

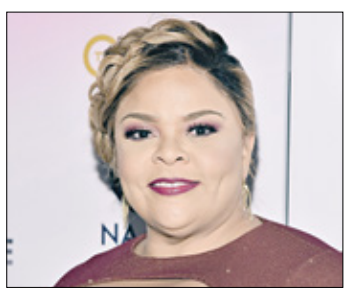

■ A Madea Homecoming لتايلور بيري إخراجاً وتمثيلاً، مع كاسي ديفيس. باتْون وتاميلا مان (Getty): تستعدّ ماديا للترحيب بعائلتها، المؤلّفة من أفرادٍ كثيرين وكثيرات، والجميع قادمون إلى المدينة للاحتفال بتخرّج حفيد لهم ولهنّ. لكنْ، كعادة لقاءات كهذه خاصة إنْ تحصل بعد مرور وقتٍ على آخر لقاء، تنذر أسرار عدّة بالمسّ بفرحةِ لَمّ شمل الأسرة. أسرار مخفية منذ زمن تكاد تنكشف تدريجياً.

■ Insidious: The Red Door لباتريك ويلسون إخراجاً وتمثيلاً، مع تي سيمْبكينس وروز بيرن (WireImage): بعد مرور 10 أعوام على أحداثٍ ماضية (في الفيلم السابق الذي أخرجه آدم روبيتال عام 2018)، يذهب جوش لامبرت إلى شرق البلد، ليوصل ابنه دالتون إلى الجامعة، التي انتسب إليها قبل وقتٍ قليل. مع ذلك، تتعطّل الحياة الطلابية للشاب، بسبب عودة الشياطين من ماضيه فجأة، لتُطارده هو ووالده.

■ Ezra لتوني غولدوين، تمثيل ووبي غولدبيرغ (WireImage) وبوبي كانّافالي وروبرت دي نيرو: ماكس براندل كاتب سابق لأفلامٍ كوميدية ناجحة، عروضها مخصّصة بوقتٍ متأخر من الليل. غير أنّ مسيرته المهنية فاشلة. بعد تدمير حياته المهنية وزواجه أيضاً، يعود للعيش مع والده ستان. إلى ذلك، يختلف مع زوجته السابقة جينا حول تعليم ابنهما عزرا (11 عاماً)، المُصاب بمتلازمة «أسبرجر». لذا، يقرّر خطف ابنه في رحلة عبر البلد.